﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾

[يوسف: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إتـبـاعُ المُفتي جوابَه بما يَبعثُ عـلى الـتّـفـاؤُلِ والأمَلِ

لمّا أتمّ يوسفُ عليه السلام تأويلَ الرّؤيا، وأخبرَهم بأنّهم يَغتنِمون ويدّخِرون من سِنِيّ الزّراعة والمحصولِ لِسنواتِ شِدّتِهم وتصحُّرِهم، خَتَمَ ذلك ببِشارتِهم بأنّ الله يوسّعُ عليهم بعد الضّيقِ ويُغيثُهم وينشرُ رحمتَه عليهم بعد المُعاناة والكَرْب.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُغَاثُ﴾: لفظ (يُغاث) يصحُّ أن يكونَ منَ الغَيْث، ويصحُّ أن يكونَ منَ الغَوْث، والغيْثُ: المطر. والغوْثُ: النّصرةُ في الشِّدّة والإنجاءُ منَ الموقِفِ الصّعب[1].

2) ﴿يَعۡصِرُونَ﴾: مِنْ (عصر) وهو أصلٌ يدلّ على ضغْطِ شيءٍ حتّى يَتحلّبَ؛ أيْ: يَسيلُ مِنْه العصيرُ، وهو خُلاصتُه منَ المائع. والمُرادُ بقوله: ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾؛ أيْ: يَعصِرون العِنَبَ والزَّيْتَ ونحْوَهما رمزًا لجرَيان الغَلَّةِ وحصولِ الإنتاج[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنَّ الـفَـرَجَ مع الضّيقِ

ثمّ يأتي من بعد هذه السّنين الصّعبةِ عامٌ يُغاثُ فيه النّاس بالمطر، فيرفعُ الله تعالى عنهم الشّدّةَ، ويَعصِرون فيه الثّمارَ من كثرة الخِصْب والنّماء[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غوث، غيث)، والرّاغب، المفردات: (غوث).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عصر).
(3) مجمع الملك فهد، التفسير المُيسَّر، ص: 241.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوَصْلِ في جُملةِ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي﴾:

تتْميمُ الفتوَى عـلى المُشكـلةِ بالفَأْلِ

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ مَعطوفٌ على جُملةِ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ﴾ وحرفُ العطف فيها كنظيره السّابقِ، وهو على بابه منَ التّراخي الزّمنيِّ[1]. ويمكنُ أن يكونَ أيضًا على معنى التّراخي الرُّتبيّ؛ لأنّ هذا العامَ أفضلُ لهم منَ السّنين العجافِ.

سِرُّ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿يَأْتِي﴾ دونَ (يجيء):

معنَى اليُسْرِ في العـامِ يُناسِبُ لـفْـظَ الإتـيـانِ الـــدّالِّ عـلى المجيءِ بسُهولةٍ

المجيءُ كالإتيان، لكنَّ المجيءَ أعمُّ؛ لأنّ الإتيانَ مجيءٌ بسهولةٍ، والإتيانُ قد يُقالُ باعتبار القصْدِ وإن لم يكن منه الحصولُ، والمجيءُ يُقالُ اعتبارًا بالحصولِ[2]. ولمّا كان الحديثُ عن عامٍ سيأتي ولمّا يَجِئْ بعدُ استَعملَ الفعلَ الدّالَّ على القصد، فضلًا عمّا يحملُه العامُ من رخاءٍ ويُسرٍ، وهو ما يُناسبُ لفظَ الإتيان الدّالّ على المجيء بسهولةٍ.

دَلالةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿عَامٌ﴾:

لـفـظُ (الـعـام) ألـصـقُ بـمـقـامِ الوَفْرةِ والرَّخاءِ

أوثرَ التّعبيرُ بلفْظِ: ﴿عَامٌ﴾ للدّلالةِ على الفرق بينَه وبين نظيرِه (السّنين) في معنى المُتعلَّقِ فيهما، فلمّا قرَنَ العامَ هنا بالإغاثةِ واليُسْر، وقرنَ السِّنينَ بالشّدّةِ والعُسْرِ، دلّ ذلك على المُقابلةِ بينهما في الاستعمال، وإن اتّفقا في الدّلالةِ على نفْسِ الوحدةِ الزّمنيّةِ، فاستعمالُ القرآن حجّةٌ في التّفريق بين الألفاظِ المُتحاكِيَةِ في عموم دلالتِها، فيُخَصِّصُ كلَّ لفظٍ بمعناه الّذي لا اشتراكَ له مع نظيره فيه، فيختصُّ (العام) بظرفيّته لِما هو ميسورٌ، وتختصُّ (السَّنَةُ) بظرفيّتها للعسير الصّعبِ، وهذا عند الاقترانِ، وعند الإطلاقِ فيَصدُقُ كلاهما على نفْس المقدارِ الظّرفيِّ بغضّ النّظرِ عن حال المظروفِ فيهما أخيرٌ أم شرٌّ![3].

---

(1) صافي، الجدول: 12/445.

(2) الرّاغب، المفردات: (جاء).

(3) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عوم، سنه).

نُكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِيهِ يُغَاثُ﴾:

المبالغةُ في إفراحِ اليـائِـسِ عنـدَ إفْتائِه

﴿فِيهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ﴾ متعلّقٌ بـ ﴿يُغَاثُ﴾، والأصلُ: يُغاثُ فيه، وقُدِّم الجارُّ والمجرور لغرضِ الاهتمامِ والاختصاصِ، ويصحُّ الحصرُ على معنى: (يُغاثُون في هذا العامِ إغاثةً لم يُغاثوا مثلَها)[1].

دَلالةُ التّعبيرِ بلفْظِ: ﴿يُغَاثُ﴾ مادّةً وصيغةً:

الـغَـيْـثُ يَـنـزِلُ بالغَوثِ والفَرَجِ والفَرَحِ

قوله تعالى: ﴿يُغَاثُ﴾ إمّا منَ الغيْثِ بمعنى المطرِ مِن غاث غَيْثًا، فالألفُ في ﴿يُغَاثُ﴾ منقلبةٌ عن ياءٍ، والفعلُ ثلاثيٌّ، وإمّا منَ الغَوْث بمعنى الإنقاذِ والفرجِ، والإغاثةِ والنُّصرةِ عند الشِّدّةِ من أغاثَ غَوْثًا[2]، فالألف منقلبةٌ عن واوٍ، والفعلُ رباعيٌّ. وجاء الفعلُ ﴿يُغَاثُ﴾ على بناءِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه إيجازًا لوضوحِ جهةِ الغَوْث، فلا مُغيثَ إلّا اللّه، وزيادةً في إجلالِ الفاعلِ وتقْديسِه حين يأتي بالغوْثِ والغيْثِ ويَنْشُرهما مَشهودَيْن مَحسوسَين وهو في عَليائه لطيفٌ خبيرٌ لا تدركُه الأبصار، ثمّ لأنّ الأهمَّ بالنّسبة إليهم بعد هذه السّنين العجافِ مُنصَبٌّ على الغوثِ نفسِه دونَ النّظر إلى المُغيث في تلك الشِّدّةِ، وآثَرَ التّعبيرُ بمادّة الغوْث أوِ الغيْث، للدّلالة على أنّه تخليصٌ من أزْمَةٍ، وإنْقاذٌ من ورْطةٍ، وامتنانٌ بعد كَرْبٍ، وفرَجٌ بعد شِدّةٍ استحكمَتْ، فهو إنعامٌ لا نظيرَ له؛ لأنّه بعد يأسٍ، وهذا خيرُ الإنعامِ.

الـغَـوْثُ هو أثَـرُ الغَيْثِ وغايَتُه

الغيثُ: هو المطرُ الّذي يُغيثُ النّاسَ بالخِصْب والإنبات ويُحيي الأرضَ بعد موتها. والغوْثُ هو تفريجُ الشدّةِ ودفْعُ عناء المُستغيثِ (طالبِ الغوث)، وهو أثَرٌ من آثار الغيْث؛ لأنّ المطر النّازلَ منَ السّماء ينزل بالسّقْيِ والرّيِّ الّذي يَبعثُ الحياةَ ويَمحو الجفافَ والجَدبَ، فهو تفريجٌ، "وكأنّ الأصلَ هو الغيْثُ: الماءُ. ويُزكّيه أنّه هو الحياةُ ﴿وَجَعَلْنَا

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/340، وصافي، الجدول: 12/445.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غوث، غيث).

مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ﴾ [الأنبياء: 30]، فالأصلُ في الاستغاثة طلبُ الماء حقيقةً، ومن هذا نُقِلتْ إلى طلبِ الرِّفْق والرّحمة، وهما مناسِبان للماء، فكلاهما رِقّةٌ، كما أنّ كليهما إبقاءٌ على المستغيثِ ونجْدةٌ له، وربّما يؤيِّدُ هذا بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [الكهف: 29] هم يطلبون ماءً، فيُؤتَون بماءٍ، لكنّه كالمُهْلِ"[1] والعياذُ بالله.

معنى (ال) في قوله: ﴿ٱلنَّاسُ﴾:

ليسَ أفْرَحَ بنزولِ الخَيْرِ منَ المُبْتَلَى المُصابِ

(ال) في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ من قوله تعالى: ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: للعهد؛ أيْ: النّاسُ المعهودون بالابتلاءِ والقحطِ المذكورِ، أو (ال) للاستغراق العُرْفيِّ؛ أيْ: كلُّ النّاس في عُرفِ السّياقِ والمقامِ الّذين هم في محلّ البالِ وحيِّزِ الاهتمامِ، وهمُ النّاسُ الّذين شَمِلَهم الغلاءُ والعناءُ[2].

مَوقعُ قوله ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ ممّا قبلَه:

فُتوحُ الله بالخيْرِ تأتي مُتَتابِعةً

جملةُ ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ معطوفةٌ على قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾، والعطفُ بالواو، للدّلالة على أنّه اجتمعت فيهم مِنَّتَان: مِنّةُ الغيْثِ بالمطرِ وزيادةِ الخِصْب، ومِنّةُ تيسيرِ الإنتاج وتنويعِه الحاصلِ بعصْرِ المحاصيلِ المزدهرةِ بالغيْث واستخراجِ زيوتِها وكافّة وجوهِ الانتفاعِ منها، فالمِنّةُ الثّانية مُترتِّبةٌ عنِ الأُولى، والمِنّةُ الأُولى ثابتةٌ بالوَهْبِ، والثّانية ثابتةٌ بالكسْب، فجملةُ ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ تفريعٌ على مضمون جملةِ ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ فكأنّه ذَكَر الشّيءَ ثمّ ذكَر ما يَقْتضيه وما يلزمُ عنه منَ الأثَر[3].

تَوجيهُ القراءاتِ في ﴿يَعۡصِرُونَ﴾:

في قراءَةِ الخِطابِ تَوجيهٌ للخِطابِ إلى المُستَفْتين

في قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ قرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابنُ عامرٍ وعاصمٌ: ﴿يَعۡصِرُونَ﴾ بالياء. وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غيث).
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/340.
(3) صافي، الجدول: 12/446.

بالتّاء، ليوجَّهَ الخطابُ إلى المُستَفْتين. وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ: ﴿يَعْصِرُونَ﴾ بضمّ الياء وفتح الصّاد؛ أيْ: يُمطَرُون من قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة النّبأ: 14][1].

بَراعةُ الخِتامِ بلفظِ ﴿يَعْصِرُونَ﴾:

العاقبةُ الحسَنةُ تُعوِّضُ ما فات من قَسْوَةِ الأيّامِ

اصطفاءُ لفْظِ ﴿يَعْصِرُونَ﴾ للفاصلةِ بديعٌ جليلٌ، فلفظُ ﴿يَعْصِرُونَ﴾ يدلُّ على السِّيولةِ وعدمِ الجمود، ويدلُّ على توالُدِ شيءٍ من شيء، ويدلُّ على الأفضليّة؛ لأنَّ الشّيءَ حين يُعصَرُ يَسيلُ بأجْودِ ما فيه وهو الخُلاصَةُ، فلفْظُ العصْرِ في قوله: ﴿يَعْصِرُونَ﴾ دالٌّ على السّيولةِ بالخيرِ. فالإبداعُ في هذا النّظمِ الجليلِ هو في توالي لفظِ ﴿يَعْصِرُونَ﴾ بعد لفظِ ﴿يُغَاثُ﴾؛ لأنّ الغَيْث الّذي هو المطرُ دالٌّ على السّيولةِ كذلك؛ لأنّه ماءٌ يسيلُ، ولأنّه معصورٌ منَ السّحاب، وقد استعملَ القرآنُ فيه لفْظَ العصر في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النّبأ: 14][2]، فالغيْث مُشتمِلٌ على معنى العَصْرِ، والعَصْرُ مشتمِلٌ على معنى الغيث، وإذا كان ﴿يُغَاثُ﴾ منَ الغوث، فالإغاثة كذلك فيها من معنى السّيولةِ الّتي في الغيْث والعَصْرِ؛ لأنّها إخراجٌ للإنسان عن حال الجُمودِ والاحتباسِ، فيكونُ منطلقًا كالغيْثِ السّائلِ، فكان قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ استدلالًا على نزول المطرِ واستدلالًا على حصول الفَرَجِ واستدلالًا على الإنباتِ والخصوبةِ، وكان قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ استدلالًا على أثَرِ الإنباتِ الحاصلِ بالغيثِ المذكورِ، وهذا الأثرُ هو استخراجُ المنافعِ من تلك النّباتاتِ والزّروعِ المزدهرةِ بعصرِها واستخلاصِ ما فيها. فكان قوله: ﴿يَعْصِرُونَ﴾ مُستَخْلَصًا من قوله: ﴿يُغَاثُ﴾ ومُتأتِّيًا منه، كما تُستَخلَصُ العُصارةُ الطّيّبةُ من مصدرِها. فسبحان مَن نزّل الكتابَ!

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/444، وابن الجزريّ، النّشر: 2/295.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/466.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»